قراءة نقدية في كتاب
نظرية الرواية وتطورها - جورج لوكاتش
ترجمة وتقديم نزيه الشوفي، مدونة أبو عبدو ، دمشق، 1985

المدرس المساعد : حنان عبد الهادي أمين
hananabd@uomustansiriyah.edu.iq

يقع الكتاب في هذه الترجمة في (96) صفحة ، ويتكون من مقدمة للمترجم، وبطاقة تعريفية للمؤلف وسبعة عناوين فرعية وهي: تطور نظرية الرواية ، والملحمة والرواية ، والرواية في طور التكوين ، وتوظيف الواقع اليومي، والسيادة الحيوانية في الشعر، والواقعية الجديدة ، وآفاق الواقعية الاشتراكية .

تشير المقدمة أن هذا الكتاب هو مجموعة مسودات لمحاضرات لوكاتش التي القاها في كلية العلوم السياسية ببلغراد ، حيث كان محاضراً سياراً في حلقات بحث لمادة: قضايا فلسفية سياسية.

جورج لوكاتش: من مواليد 1885 ولد في بودابست واعتنق والده البروستانية بعد اليهودية عقب مولد لوكاتش.

وقبل الخوض في الفصل المخصص لـ(السيادة الحيوانية في الشعر) أود أن اشير ان لوكاتش انطلق من مفاهيم استاذه هيجل وتمكن من وضع نظرية متكاملة حاول من خلالها أن يؤكد على أهمية المعيارين الجمال والتاريخي في مفهومه للرواية وهذا ما يتضح من قوله: ((فهيجل حين يقول بأن الرواية عبارة عن ملحمة بورجوازية إنما يطرح في وقت واحد المسألة الجمالية والتاريخية)) و يمكن ان نقول يقصد بالناحية التاريخية ان الرواية لديه ترتبط بالطبقة البرجوازية، أما جماليا فان الرواية تحتوي على كثير من العناصر الجمالية للملحمة .

وهذا ما يجعلنا نقول انه في بدء مساره النقدي تأثر بأستاذه هيجل؛ لكن في تطور الحياة وضع نظريته في الرواية وكان فكره قد بحث او انطلق أو تجاوز حدود نظرية الرواية إلى نظرية الأجناس الأدبية معتبراً إن لكلّ جنس أدبي فلسفة تاريخية تستجيب لبنيات اجتماعية فكرية مختلفة.

واستبدال فيما بعد مفاهيم أستاذه المثالية الى مفاهيم ماركسية من اجل ان يعبر عن التناقضات الحادثة في المجتمع الأوروبي بسبب الصراع حول المصالح، وهذا هو السبب المباشر برأيه لظهور الرواية، أي بسبب التناقضات بين الإنتاج الاجتماعي والتملك الخاص؛ وهذا ما جعله يبتعد عن فلسفة أستاذه لأنها وقفت عاجزة عن تفسير التناقض في المجتمع الرأسمالي وكشف العلاقة بين الرواية والمجتمع البورجوازي.

الفصل الخامس: (السيادة الحيوانية في الشعر)

في هذا الفصل يعرض لوكاتش نضال الكتاب ضد الأساليب النثرية التي سادت الأدب الرومانسي في الحياة الرأسمالية وفي نهاية المطاف قد استسلمت لذلك النثر واعتبرته كمصير محتوم كما أنها مجدته تمجيداً رمزياً.

بدأت الرواية تعود إلى الأسلوب الخرافي الذي اختطه في بداياتها غيرانه هذا الاسلوب اسلوب التناقضات المفجعة التي اقلقت الحياة البرجوازية وتحوله ال (باثوس) المتفائل الى (باثوس) مأساوي يغذي الشعور بأنه هلاك الحضارة الرأسمالية إنما يخضع لضرورة ما .

وقد سبق لهذا الأسلوب الخرافي ان مرّ بالمرحلة الرومانتيكية، وإن الصورة الجذابة التي عليها الرومانتيكية تعود الى كونها خليطا ينطوي على رواسب رجعية ضد الثورة الفرنسية، وعلى احتجاجات مبهمة ضد فظاعة الرأسمالية؛ ومن هنا بدأ النضال ضد الأدب النثري في الحياة الرأسمالية يتخذ نبرة رجعية ملتفته نحو الماضي لدى الرومانتيكين بمعنى أن الرومانتيكية تبحث في مجال الفن عن نظرية الفنية وتبحث عن عناصر العفوية الإنسانية النشيطة التي لا تزال في إطار الواقع الاجتماعي لتضعها في قلب الجسد الملحمي بوسائل واقعيه عالية ؛ وقد تخلد في ابداعات الرومانتيكية معارضة أصابها الجمود اي (معارضه بين النثر الموضوعي والشعر الذاتي) لكونه احتجاجا عاجزاً يناهض الأساليب النثرية .

بمعنى إن الرومانتيكية قد استسلمت للنثرية وقد تدهور المد الشعري الذي كان ضرورياً على الصعيد الاجتماعي وتحول باتجاه الذاتية العاجزة إزاء الواقع وقد ظهر بأشكال عديدة في الشعر الرومانتيكي على مستوى المضمون في اللجوء الى تصوير حالات المجتمع التي لم تقع بعد فريسة للأساليب النثرية الرأسمالية(روايات وولتر سكوت التاريخية).

وظهر التعارض بين المبدأ الشعري والنثري على أنه شكل محكوم بالمغالاة الخرافية روايات (هوفمان، و ادجر ألن بو) تخلوا عن الواقع الاجتماعي وحاولوا خلق الواقع الشعري كواقع سحري محض (نوفاليس) انطلاقا من الموضوع وبكلّ حرية وهذا يظهر في مغالاة رمزية خرافية تدور حول التشيؤ المتحجر في العالم الخارجي.

فالرومانتيكية هنا أخضعت للنثرية عبر مجادلة انتزاع العناصر التي اصبحت نثرية عن طريق الأسلوب الرمزي ومن ثم اعاده شعره إليه وهذا ما وضح لدى فيكتور هيجو في رواية (ثلاثة وتسعون).

في الختام نقول الرومانتيكية قد عقدت العزم على خوض غمار حرب طاحنة ضد الأساليب النثرية في الحياة الحديثة قد استسلمت في آخر المطاف دون مقاومة لذلك النثر الذي اعتبر كمصير محتوم ونهائي .... بل أن الرومانتيكية قد افضت إلى تمجيد ذلك النثر تمجيدا رمزيا دونه إرادتها؛ وإلى تبريره بطريقة شاعرية بعد ان نبذته واعتبرته عدوا لدوداً.

يمكن القول : إن التداخل بين الفكرين الهيجلي والماركسي في فكر لوكاتش قد ساهم مساهمة بشكل كبير في التأسيس لمقولات نقديه جديده حددت لنا تصوره بالشخصية ذاتية كما بلورت لنا (رؤيته الخاصة لمفهوم الواقعية العظمى).